جولة «بايدن» في المنطقة... بين خيبة محرجة وأمل منتظر!

رولا جميل حطيط*

المقدّمة

في لحظة مفصليّة إقليميًا ودولياً، وبعد التطورات الأخيرة على السّاحة الفلسطينيّة، وتطوّر معادلات الردع والمواجهة وقواعد الاشتباك، من "ولّى زمن الهزائم وأتى زمن الانتصارات" ، إلى" ما بعد بعد حيفا" ، و"القدس تعني حربًا إقليميّة" ، نحو "ما بعد بعد كاريش"، وصولاً إلى تصريحات الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي «زياد النخالة» والرّد القائم، وقادم التطوّرات من بعد إعلان «سرايا القدس» عن معركة "وحدة السّاحات" ، بعد الاعتداء الإسرائيلي الغادر على قطاع غزّة ، والمجازر التي ارتكبها كيان الاحتلال بحقّ المدنيين والأطفال الأبرياء في فلسطين، والضخّ الإعلاميّ في محاولة لشقّ الصفّ الفلسطينيّ وشرذمته، نقرأ المعاني والدّلالات والانعكاسات على محور حلف المقاومة وخطوطه الحمراء وواقع قواعد الاشتباك ، في زمنٍ هرولت فيه بعض الأنظمة العربيّة الحاكمة نحو تطبيع التبعيّة ، في حلفٍ سمّاه الإعلام المعادي تحالفًا أمنيًا عسكريًّا استراتيجيًّا، وتخلّته مساعٍ حثيثة نحو تطبيع شعبيّ واقتصاديّ يدمج الكيان الصهيونيّ في نسيج المنطقة، بعد فشل نهج أو مسار «كامب ديفيد» في تكريس تطبيع حقيقي معه.

ثمّ أتت قمّة طهران من بعد تأزّم العلاقات الروسيّة– الإسرائيليّة ، وصولًا إلى التطوّرات التي جرت على السّاحة الفلسطينيّة ومحاولة استنزاف المقاومة من خلال عدوان صهيونيّ جديد على غزّة، أكّدت فيه فصائل المقاومة في: فلسطين، ولبنان، واليمن، والعراق، وسوريا، استمرار التنسيق ودعم ومساندة المقاومة الفلسطينية بكلّ السبل المتاحة.

وقبل كلّ ذلك جاءت جولة الرّئيس الأميركيّ «جو بايدن» إلى الشرق الأوسط، والتي زار خلالها الكيان الصهيونيّ، المناطق الفلسطينيّة المحتلة، والسعودية. ولعلّه في هذه الرحلة قد شعر بتغيير التحالفات، ما اضطرّه إلى الالتفاف على قضايا معيّنة. وكان اللافت هو الوفد المرافق للرئيس الأميركيّ الذي كان بمثابة مطبخ كامل من السياسات والاستراتيجيات، في سبيل معاينة الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط، وإعداد التقرير الشامل عن الزيارة، والتي يمكن في ضوئه تحديد السياسات والاستراتيجيات القادمة مع الحلفاء والتابعين، حيث رافق بايدن في تلك الجولة المئات من

* باحثة لبنانية.

حرّاس الأمن، وستّ مروحيات وطائرة كاملة من الصحفيين، وقافلة تتألف من 80 مركبة، وقطار جويّ يحمل المعدّات. من هنا نجد أنّ هذه الزيارة لم تكن زيارة عاديّة، أو أنّها لمجرد جسّ نبض الحليف والتّابع، أو أنها زيارة للمجازفة والمقامرة؛ فهناك طائرة كاملة حملت 250 صحفيًا كما كشفت التقارير، في حين رافقه وزير واحد فقط، وهو وزير الخارجية «أنتوني بلينكن»؛ وكان من اللافت غياب وزراء مختصّين في الملفات التي طرحها «بايدن»، مثل وزارة الحرب أو الطاقة، أو ممثّل رسمي عن الاستخبارات..

وبينما تعتبر كلٌ من "إسرائيل" والولايات المتحدة نفسيهما حليفين مقرّبين، يرى بعض المراقبين أنّ الولايات المتحدة تحوّل مصالحها الاستراتيجية إلى مناطق أخرى،ما يطرح سؤالًا جوهريًّا : هل من الممكن للولايات المتحدة أن تسمح لنفسها بالانسحاب من المنطقة، سيما وأنّ هناك نقطة تحوّل مع إيرانّ؟ ألا يحتّم ذلك على الحلفاء : أميركا والكيان والأنظمة العربية المطبّعة في المنطقة، أن يتعاملوا مع هذا التهديد المتنامي ويُظهروا أنّ لديهم أمريكا قويّة وواثقة، ولن تسمح بخلق فراغ يمكن ملؤه من قِبل قوى أخرى؟

لقد أرست المخاوف في شأن طموحات إيران النوويّة أرضية مشتركة بين الكيان الصهيوني والعديد من دول الخليج على مدى السنوات الماضية؛ فما هي التحديات والفرص التي تناولتها زيارة بايدن؟ وهل من البديهي أن تكون مناقشة التحديات ركّزت أولًا على قضية إيران؟ أم على مدى توغل النفوذ الروسي في المنطقة على حساب النفوذ الأمريكي؟

وهل سنجد بأنّ الولايات المتحدة الأميركية تتّجه إلى الاعتراف بالمتغيرات وتجنح نحو التسويات واحترام نفوذ الخصوم، أم أنّها ستّتجه إلى المواجهات والتصعيد؟

إن أيّ حديث عن طرد الأنظمة العربية لأمريكا من المنطقة، أو خروج تلك الأنظمة من العباءة الأمريكية، يبقى حديثاً متعجلًا ولا يصحّ البناء عليه، في ظل وجود قوات «سنتكوم»، والتي يشارك فيها العرب بجيوشهم وأجهزتهم السيادية[1]؛ وتاليًا لا تخلط الأوراق بين تراجع النفوذ الأمريكيّ ومحاولات بعض الأنظمة استغلال ذلك في تحسين شروط التبعية، وبين الاستقلال عن أمريكا، أو حتى امتلاك هامش العصيان الذي يصل حدّ إغضاب أمريكا من قِبل هذه الأنظمة.

[1] - https://www.alestiklal.net/ar/view/12050/dep-news-1643440168

أوراق بحثية : مجموعة باحثين، إعداد قسم البحوث ، ضم إسرائيل إلى "القيادة المركزية الأميركية"الأسباب والتداعيات على مصر،23 \6\2022

إنّ واقع الحال الذي تخدمه الشواهد يقول إنّ أمريكا يمكنها أن ترضى باستبدال نفوذها في المنطقة بالنفوذ الصهيوني، واستبدال قيادتها المباشرة بقيادة إسرائيلية، وهو ما نراه يتحقق على الأرض من خلال سلوك هذه الأنظمة تجاه العدو الصهيوني وسعيها لتطوير إجراءات التطبيع معه.

وبالعودة إلى تصريح المنسّق الأول لعمليات السلام المزعومة مع العدو الصهيوني «دينيس روس»، نتوقف عند تصريحه بأنّ " تراجع أمريكا بشكل ملموس في الشرق الأوسط هو أحد العوامل التي عزّزت الروابط الإسرائيلية مع بعض القيادات العربية؛ وبالتالي يمكننا استشراف ملامح المقاربة الأمريكية والخليجية للوضع في الإقليم بعد المستجدات وتغيّر التوازنات[2]".

الكيان والوعد الإلهي المزعوم :

خطوة خطوة، وكلمة كلمة، تمّ تتبّع زيارة «جو بايدن» إلى "إسرائيل"، والتي هي كل شيء في العقل وفي الخيال الأميركي ،ولا مكان للعرب في اليوميات الأميركية؛ "فإسرائيل" هي التكنولوجيا، وهي الديموقراطية، وهي الوعد الالهي. أمّا العرب فهم مجرّد نواطير للنفط. وهنا يستحضرنا قول لشاه إيران (رضا بهلوي): من هنا ـــ أي من إيران ـــ إلى مصر لا بشر؟[3] و في نظر الأميركي، من ضفاف المتوسط الى سد مأرب، ومن الفسطاط الى القيروان، لا بشر. هذه هي المعادلة الأبدية، من هنا نفهم الأطروحة التي حملها بايدن: "أن يندمج العرب في الحالة الإسرائيلية".

إنّ الصهاينة هم شعب الله المختار، وقد أضحوا شعب أميركا المختار، ولا يليق بهم أن يندمجوا في أي حالة أخرى. هذا ما يقوله المنطق الأميركي؛ فكيف لدولة ضالعة وضليعة في صناعة الزمن، أن تندمج في دول ما دون الدول، وربما ما دون القبائل؟ ولعلّ من أصدق ما قاله بايدن إنّ امريكا تتشارك مع الكيان في الفطرة، القِيم، والمبادئ.

نعم، هم يتشاركون نفس القِيم، وهي: الاحتلال وإبادة الشعوب والحروب ونهب ثروات الأمم الاخرى، احتقار القانون والتضليل والمجازر وتجويع الشعوب، وحصار الدول والعنصرية؛ فهذه هي القِيم التي يؤمنون بها ويتشاركونها.

إنّ الكيان الغاصب قتل ملايين العرب ولا يزال، واقتلع الملايين من العرب، كما شتّت منهم الملايين. أمّا اليوم، فهم حلفاء العرب، وخشبة خلاص العرب من الهيمنة الإيرانية. لذا نجد بأنّ «بايدن» هزّ

---

[2] - https://www.alahednews.com.lb/article.php?id=44312&cid=124

إيهاب شوقي، هل تنجح محاولات أمريكا تسليم راية القيادة للعدو الصهيوني؟ 2022/07/23

[3] - بندر بن سلطان مقارنا شاه إيران بالخميني: عدو عاقل خير من صديق جاهل، 2019\1\31

أيضًا https://arabic.rt.com/middle_east/998388

https://al-akhbar.com/Opinion/19969

رأسه طربًا حين قال «يائير لابيد» ، رئيس الوزراء الصهيوني، إنّ إيران ليست خطرًا على الشرق الأوسط فحسب إنما هي خطرٌ على العالم!

منذ اندلاع الحرب الباردة، والأجهزة الأميركية تبتدع الصراعات العبثية، بما فيها الصراعات الإيديولوجية والصراعات الإثنية والطائفية والمذهبية، في الشرق الأوسط، لتتولّى إدارتها في وضح النهار، بينما في مناطق أخرى من العالم جهود جبّارة للإنماء والازدهار.

لطالما كانت منطقة الشرق الأوسط ، لاسيما دول محور المقاومة، ضحيّة في هذا التاريخ، وفي حالة احتضار دائم نتيجة اللعب البهلواني الأميركي، تزامنًا مع برمجة مجتمعات المنطقة بما يتناسب مع مصالح الأميركي وربيبته "إسرائيل".

ونتساءل هنا: هل بعض اللاوعي العربي تمّت برمجته على مقولة لكي تكون عربيًا يُفترض أن تكون إسرائيلياً تبعًا إلى ميثاق إبراهام حتى قيام الساعة؟ وهل أنّ الطريق إلى واشنطن يمر، حتماً، من أورشليم، أو أنّ الطريق إلى السماء يمر عبر هيكل سليمان المزعوم بعقيدة الصّهاينة؟ صحيح أنّ فلسطين خرجت من أجندة الأنظمة العربية لتحلّ محلّها "إسرائيل"، ولكن ماذا عن الشعوب العربية؟ هل سيهلّلون للزمن الإسرائيلي؟ وهل يقتنعون بفرضية أميركا الساذجة في تصويرها المبالغ فيه لخطر الدور الإيراني الجيوسياسي والجيوستراتيجي على منطقة الشرق الأوسط؟ فإيران المنهكة اقتصادياً، وهي تحت الحصار القاتل، لا تستطيع حتى أن تمد يد العون إلى دولة حليفة مثل سوريا بالأهوال الاقتصادية التي تواجهها؛ قطعاً، لا يمكننا أن نغفل أن بعض من تولّوا السلطة السياسية، أو السلطة العسكرية، أو السلطة الدينيّة، في إيران، قد أطلقوا مواقف حول تصدير النموذج الثّوري إلى بلدان أخرى، مما أثار الذعر في الضّفة الأخرى من الخليج، فكان اللجوء أكثر فأكثر إلى الحماية الأميركية، ثم إلى الحماية الإسرائيلية. لكن ألم يطرح «محمد خاتمي» فكرة تشكيل منظومة إقليمية باستطاعتها إرساء قواعد ديناميكية للتعاون، أو للتكامل، الاستراتيجي بأبعاده السياسية، والاقتصادية، والأمنية، ما يجنّب المنطقة من التدخلات الخارجية، كما من الهيمنة الخارجية؟ وكان أوّل من اعترض الولايات المتحدة الأميركية. إذاً ، من هو الخطر على المنطقة؟ أليست أميركا، بتاريخها الاستعماري للمنطقة وإنهاكها مجتمعاتها وتدخلها اللامتناهي في الشؤون الداخلية، وتنصيب أزلامها في الحكومات ورئاسة البلاد، وزرعها الغدّة السرطانية " إسرائيل" ظلمًا وعدوانًا، هي الخطر الأكبر في منطقة الشرق الأوسط؟

قوّة الحديد والنّار بين «بايدن»و« بوتن»

وصـل الرئيس الأميركي «جو بايدن» إلى مطار «اللّد» في بداية جولة شـرق أوسـطية اختتمها في السـعودية. وقد تمّ تجهيز بطاريات الصـواريخ لحماية «بايدن» في مطار «اللد الدولي» الذي بناه الفلسطينيون في العام 1938، مستهلًا زيارته للكيان ومناطق السلطة الفلسطينية، في زيارة استغرقت 3 أيام، روّج فيها الإعلام حول ما جرى من محادثات مع القيادتين، حيث "حلّ الدولتين" ، والملف الإيراني، وإقامة قنصلية أمريكية في شرقي القدس لخدمة السكان الفلسطينيين ؛ واختُتمت الزيارة ب «إعلان القدس».

إلاّ أنّ الأوسـاط الصـهيونية رأت أن هدفَ زيارة «بايدن» إلى المنطقة هو النفط والغاز وتثبيت التحالف مع أوروبا في ظل الأزمة الأوكرانية.

وقبل مناقشة وتحليل في زيارة «بايدن للسعودية»، محطّته الأخيرة في الجولة التي قام بها إلى منطقة الشـرق الأوسـط، نتوقف عند لقاء «بايدن» برئيس السـلطة الفلسـطينية، والذي لم يتجاوز مدّة 40 دقيقة، ناهيك عن تهميش دور الرئيس محمود عباس في قمّة جدة أساسًا بعدم توجيه دعوة له؛ وهذا دليل على مدى الهامش الضّيق المخصّص لقضية فلسطين.

بعدها توجّه بايدن إلى السّـعودية لحضـور قمّة دول مجلس التعاون الخليجي + 3 في جدّة مع قادة دول مجلس التعاون الخليجي، حيث اجتمع الحلف بقيادته وأدواته التابعة له، ولم يكن إلاّ اجتماعًا وحلفًا غير متكامل، لعب المسرحية بمنتهى السذاجة، في ظل تثبيت حلف محور المقاومة لمعادلات الردع الجديدة مع تشبيكات دولية، راجت تفاصيلها أنّها إعدادٌ لحرب إقليمية، إن حدثت، ستكون يده هي العليا فيها.

والحدث الأبرز والنادر في هذه الظروف كان زيارة الرئيسين الروسـي والأمريكي في وقت واحد إلى منطقة الشـرق الأوسـط ، في ظل مرحلة مواجهة روسـيا لدول الغرب ، حيث بلوغ مرحلة اللاعودة عن الردّ على كل الإجراءات الغربية، وعلى رأسها الأمريكية ، التي لم تحترم لا القوانين ولا الاتفاقات والشـرائع الدولية التي تحكم العلاقات الدوليّة على أسـاس المصـالح والقانون الدولي واحترام الذات والسيادة، ما جعل روسيا تصل إلى ذروة صبرها وإمكانية نفاده أمام التصريحات الغربية التي أطلقها زعماء الغرب ضـدّها بشكل علني وصـارخ، دون أدنى اعتبار لمصـائر بلدانهم وشـعوبهم أمام نتائج سلوكهم الاستفزازي، وغير آبهين بمصالحهم القومية.

هؤلاء الزّعماء لا يهمّهم حتى مصـيرهم السـياسـي، من خلال إصـرارهم على تحقيق نصـر إعلامي فحسـب على روسـيا التي فرضـت معادلة جديدة ، ومن دون أن تتخذ حتى اللحظة أي إجراءات هجومية حقيقية وجادّة، وهي قادرة عليها وواثقة من نتائجها؛ لكن مازالت تعطي الفرص لتهدئة

الأوضاع رأفة بشعوب العالم ودرءاً لتطوّر الخلاف إلى ما لا يُحمد عقباه؛ وهنا كان الرئيس الروسي «فلاديمير بوتين» واضحاً بأنّ روسيا حتى اللّحظة لم تتّخذ الإجراءات الحازمة، ولم تردّ بجديّة، ولم تبدأ الحرب أصلًا، لا في أوكرانيا ولا ضدّ من يدعمها.

وهنا تُطرح إشكالية في ظل هذا الواقع: هل نحن أمام مفترق طرق، أم أمام بركان خطير تتدافع حممه بتسارع كبير، ما قد يؤدّي بالعالم إلى مرحلة اللا خيار من المواجهة الكارثية، والتي قد تجعله كتلة من نار لا يمكن أن يطفئها أحد أو يحدّ من انتشارها؟ هل وصل الوضع إلى مرحلة يُنتظر فيها قرار من السماء لمنع دمار العالم الشامل؟

ما يؤشّر على خطورة الأوضاع هو تصريحات وإجراءات ومواقف المسؤولين والمؤسسات الغربية؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر، ما قاله الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون» عن أنّه لا بدّ من التوجه بقوّة نحو اقتصاد الحرب، ما يعني أنّ المرحلة القادمة هي مرحلة التسلح وسباق التسلح والاستعداد للحرب، وأنّ كل الحلول المطروحة ركيزتها الحروب والتسلح؛ أما وزيرة الخارجية البريطانية «ليز تراس» التي تحلم أن تأخذ مكان «بوريس جونسون»، فأكدت أنّ هناك فرصة للانتصار على روسيا. بالمقابل، وبحسب تصريحات إعلامية، فإنّ الرئيس "بوتين" لديه الكثير من المفاجآت لدول غربية وأوربيّة أخرى صغيرة وكبيرة لن يتحملوا نتائج فتحها أبداً، لا على المستوى الشخصيّ ولا على مستوى بلدانهم في حال طرحها للرأي العام.

وبالعودة إلى منطقة الشرق الأوسط، والتي تؤدّي ، شئنا أم أبينا، دوراً محوريًا في انتصار هذا الطرف أو ذاك، لأسباب جيوسياسية واقتصادية بات الجميع يعرفها ، كان ومازال الشرق الأوسط في زمن الحرب كما في زمن السلم، ليس فقط بيضة القبّان في السياسات والاستراتيجيات العالمية، بل المقصلة ومجزرة المشاريع العالمية.

وفي السياق، فقد كانت أهداف جولة الرئيس بايدن في المنطقة معروفة من خلال التصريحات وتتبّع لقاءاته جغرافياً؛ فهذه الجولة كان لها هدف سياسي هو محاصرة إيران وإدماج " إسرائيل" أكثر في المنطقة ، بتوسيع مجال قيادتها إليها، وهدف اقتصادي هو خفض أسعار النفط.

على الجهة المقابلة، كانت زيارة الرئيس الروسي «بوتين» في نفس التوقيت إلى الجهة المقابلة لجولة « بايدن»، أكثر من واضحة، خاصة مع إيران ، وهي أصل الحكاية، في إطار ترتيب الردود المنتظرة على الساحة الإقليمية الشرق أوسطية ، وصولًا إلى الساحة العالمية، وذلك بناءً على الحلول المطروحة لمشاكل المنطقة والتحالفات السياسية والعسكرية والاقتصادية اللازمة للجم الغرب في ميزان التوازنات العالميّة.

لقد تمّ التداول في وسائل الإعلام، وبحسب آراء الخبراء المختصين، بأنّ الرئيس «بوتين» قد أفرغ زيارة الرئيس «بايدن» إلى الشرق الأوسط من مضمونها حتى قبل أن يصل «بايدن» إلى المنطقة، وقبيل وصول «بوتين» إلى طهران في ال 19 من الشهر الحالي، على الرغم من أن «بوتين» ، في ظلّ الهجوم الغربي ضدّه وضدّ روسيا من قِبل الغرب، قد خاطر بشكل كبير في حياته، لأنّ سلوك الغرب يُظهر أنّه يريد أن ينتصر على روسيا بأي ثمن، حتى لو وقعت الكارثة؛ لكن الرئيس «بوتين» ، وفي أكثر من تصريح له ذكر "أنهم يذهبون إلى حتفهم في حال القيام بأي حماقة كانت، إن كان يهمّهم الإبقاء على هذا العالم[4]."

وهنا نستحضر قول الرئيس بوتين: " نحن لا نريد الحرب لكننا مستعدّون لها؛ والأكثر من ذلك أنه ما نفع هذا العالم بدون وجود روسيا" [5]؛ فهذه ليست كلمات، بل هي تهديد خطير ومدروس بدقّة من قِبل القيادة الروسية، والتي تحذّر زعماء دول الغرب من الاستمرار في استفزازها ومن مغبّة التفكير في محاولات إذلالها؛ وهذا ما حذّر منه سابقاً الرئيس الفرنسي ماكرون الذي ينتظره مصيرٌ مجهول؛ وهذا ما يجعل السؤال عمّا إذا كان الغرب ينتظر الكثير من الانهيارات والانكسارات في الوقت اللاحق، وروسيا تعي ذلك، سؤالًا ضرورياً.

وهنا نتوقف عند خطاب الرئيس الروسي في 15 آب 2021 أمام البرلمان، وما تضمّنه من مكنونات ورسائل ، والذي يمكن للكثير من الدول الحليفة والعدوّة على حدٍ سواء أن تبني ما بين سطوره استراتيجياتها للمرحلة القادمة، وتعي تمامًا كيف وأين تصطفّ، وماهي السياسات المطلوبة منها، لتعرف على الأقل أو تتكهن بمصيرها في ظل الطحن القائم واللاحق على مستوى المنطقة، وعلى مستوى العالم ككل، مع بروز بوادر انفجار الغرب داخليًا واجتماعيًا وسياسيًا وحتى إرهابيًا؛ وهذا نقرأه في البيان الذي أعلن فيه قادة تنظيم "داعش" الإرهابي، وغيره من التنظيمات الإرهابية، التي ولدتها دول الغرب ودعمتها، أنّهم يستعدون للانتقام من الغرب مستغلّين الانشغال العالميّ بالحرب في أوكرانيا، وما تردّد عنها من اهتزازات[6] ؛ وهنا نذكر بأنّه لم يأت عبثاً ما نشرته صحيفة «فايننشال

---

[4] قمة طهران: بوتين يبحث عن حلفاء لمقاومة الضغط الغربي - التلغراف –20 \7\ 2022
https://www.bbc.com/arabic/inthepress-62217151

[5] - روسيا وأوكرانيا: بوتين يقول في خطاب عيد النصر إن الناتو يمثل "تهديدا واضحا" لموسكو، 9\4\ 2022

https://www.bbc.com/arabic/world-61339204

[6] -Jenny Hill- Ukraine war: Russians fed twisted picture and one voice - that of Putin
https://al-ain.com/article/isis-ukraine-war,7\4\2022

تايمز» حرفياً: "إن دول الناتو والاتحاد الأوروبي تضغط من أجل تتبّع أفضل للأسلحة التي زوّدتها لأوكرانيا استجابةً للمخاوف من قيام العصابات الإجرامية بتهريبها خارج البلاد إلى السوق السوداء في أوروبا"[7].

لكن لا تبدو احتمالات المواجهة المباشرة بين الولايات المتحدة وروسيا، كبيرة، خاصة أنّ الولايات المتحدة قد حقّقت جزءًا كبيرًا من أهدافها في استدراج روسيا إلى الحرب والمواجهة، وتاليًا في إنزال أوروبا إلى الدرك الأسفل؛ وهكذا تمّ إلهاء روسيا، ولو لبعض الوقت ما يضمن تبعية أوروبا الأبدية لأميركا، وبما لا يعني أو لم يعد يعني روسيا، لا من قريب ولا من بعيد، كونها غيّرت خارطة تواجدها ومصالحها الجيوسياسية والاقتصادية وحتى العسكرية، التي ستّتضح في وقت لاحق ، والتي تتمثل في التوجه نحو الشرق وآسيا وأفريقيا؛ إذاً الويل يبدو قادماً على أوروبا؛ وهذا التحوّل بطبيعة الحال لا يحتاج إلى اتفاق بين موسكو وواشنطن بخصوص أوروبا، حيث سيبدو طبيعياً دفن القارّة العجوز تحت الرماد؛ وهذا ما جنته أوروبا على نفسها بتبعيّتها للأمريكي الذي أراد قتلها كي يبقى القطب الأوحد مع الصين وروسيا في ترتيبات العالم الجديد.

وهنا لا يمكن أن نجهّل تأثير بعض دول المنطقة، وعلى وجه الخصوص سوريا ولبنان، ودورهما وموقعهما الاستراتيجي، وأهمية تموضعهما في ظل المتغيّرات الحالية جنباً إلى جنب مع روسيا؛ فسوريا لن تقف على الهامش، وستثبت حضورها وأهمية دورها في العالم الجديد. أمّا لبنان، وعلى الرّغم من أزمته الاقتصادية والاجتماعية، إضافة الى أزمة الحكم المستعصية فيه، والّتي عانى وما زال يعاني الكثير بسببها، كما بسبب سرطان الفساد والهدر الذي استحكم بالنظام الطائفي القائم على المحسوبيّة؛ إضافة إلى المبرمج الخارجي لأهداف متوسطة وبعيدة المدى، من أجل الحفاظ على أمن الكيان الصهيوني ومصالحه في المنطقة، سيّما الصّراع القائم حول حصول لبنان على حقوقه المشروعة في الثروات البحرية، بحيث تتم محاربة لبنان عبر فرض حصار اقتصادي كبير عليه، لا يمكن أن يُوصّف بأقل من حرب اقتصادية مدروسة ومشغول عليها لسنوات مضت، ولا زال العمل عليها قائمًا.

ومن المهم جدًا هنا تحليل خطابات الأمين العام لحزب الله ،«السيد حسن نصر الله»، فيما يتعلق بموضوع ترسيم الحدود البحرية، واستخراج النفط والغاز، سيّما وأنّ الغاز والنفط هما الإنعاش الوحيد للبنان قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة. فقد بدا «السيد حسن» واضحاً في أكثر من خطاب له، وبكلّ حرف قاله، إلى أي حدٍ يمكن أن يذهب فيه الحزب لحماية ثروة لبنان البحرية، معتبرًا أنّها خطٌ

[7] - فاينانشال تايمز: السوق السوداء تجبر الناتو لتشديد الرقابة على نقل الأسلحة الى أوكرانيا Kالأربعاء 13 \7\ 2022
https://arabicradio.net/news/133746

أحمر، في ظلّ ما يجري من حرق مراحل بشكل خاطئ وخطير، بحسب تعبير السيد. لذا ما قاله السيد وكرّره لأكثر من مرّة ، من الأسلم مقاربته بدقّة وحذر من مغبّة الجنون القائم والمفتعل، أمريكياً وغربياً وإسرائيليًا، إقليميًا ودوليًا، والذي بات على غير رغبتهم ، يسير بالتوازي مع مصالح روسيا ودول المنطقة المتحالفة معها، بما فيها تحالفات الضرورة لبعض دول الإقليم ، والتي لا مفرّ لها منها إذا ما أرادت البقاء على قيد الحياة بعد الانفجار العظيم لاحقاً..

من هنا نجد أن «قمّة طهران الثلاثية» تم تقديمها على أنّها الردّ المباشر على جولة بايدن و«قمّة جدة»، وأنّها ستشهد نشوء جبهة بديلة للغرب، ما يوحي باحتدام الصراع الدوليّ في الشرق الأوسط وحوله، وانقسام المنطقة إلى محورين متصارعين.

قمّة الخيبة بعد "إعلان القدس"

منذُ أن وصل الرّئيس الأميركيّ «جو بايدن» إلى المنطقة وإلى حين مغادرته لها، لم تتوقف التحليلات السياسية، في الصحف العربية والعالمية، سيما الصحف العبريّة، والتي هاجمت «بايدن»، مع تأكيدها على خيبة أملها الكبيرة من الزيارة على مستوى الهدف السياسي، ألا وهو إدماج الكيان الصّهيوني في المنطقة، ضمن تحالف يجمع الكيان مع الدول العربية ضد إيران.

لقد ترك «جو بايدن» خلفه العديد من الأسئلة، وهي كانت القاسم المشترك بين أغلب المعلّقين عليها، إذ تحدّث محلّلون كثر حول حصول «بايدن» على مكاسب قد تتبلور نتائجها في العام القادم، حيث راهن البعض على أنّ ما بعد جولة «جو بايدن» إلى الكيان الصهيونيّ والمملكة العربية السعودية وقمّة جدة، لن يكون كما كان قبل ذلك.. وستشهد المنطقة نشوء تحالف جديد وتبدّلات استراتيجيّة، عنوانها الرئيس «المواجهة المفتوحة لاحتواء إيران».

وبالعودة الى ما وراء «إعلان القدس» الذي تمّ توقيعه بين «بايدن» ورئيس الوزراء الإسرائيلي «يائير لابيد»، والذي كان بمثابة رسالة من «تل أبيب» إلى «الرياض»، حيث جرى التركيز على عدم امتلاك إيران لأي سلاح نووي، حتى لو تمّ منعها بالقوّة، وإعادة بناء الهيكل الإقليميّ للمنطقة على خلفيّة تعميق العلاقات بين كيان الاحتلال وشركائه ودمجه في المنطقة، وتوسيع دائرة "السلام" لتشمل دولًا عربيّة وإسلاميّة أخرى.

ولا يسعنا أن نستثني طريقة الاستقبال السعوديّ للرئيس «جو بايدن»، والخرق الذي حصل لبروتوكول استقبال الرؤساء، سيّما وأنّ الضيف هو رئيس الولايات المتحدة الأميركية، رغم أنّ الغرب لا يهتم بالشكليات بقدر ما يهتم بالتواقيع والاتفاقيات التي تحفظ مصالحه، على عكس الزعماء العرب.

في القمّة، رغم الحفاوة والاستقبال الكبيرين للقيادات السعوديّة، والتي رتّبت لهذه الزّيارة بدعوات إلى زعماء دول عربيّة من أجل حضـور قمّة «جدّة : الأمن والتنميّة»، والّتي كرّسـها الرّئيس «بايدن» ، من خلال اجتماعه مع دول مجلس التعاون الخليجيّ السـت إضـافة إلى مصـر، الأردن ، والعراق، بعنوانها الأهم، وهو كيفية الحصـول على الطاقة، لسـدّ العجز الكبير جرّاء العمليّة العسـكريّة التي قامت بها روسيا في الأراضـي الأوكرانية، والتي أتت تأثيراتها عكسية على الأوروبيين والأمريكيين، بعد فرضهم للعقوبات الكبيرة على الروس.

واذا ما أردنا تلخيص أبرز أهداف هذه القمّة، نبدأ من ترميم العلاقات الأميركية – السـعودية بعد أزمة اغتيال الصـحافيّ «جمال الخاشقجي»؛ يلي ذلك تشكيل نيتو عربي لمواجهة إيران والحفاظ على أمن الكيان ، ومن ثمّ ضـم الكيان الصـهيوني إلى المنطقة، وجعله جزءًا أسـاسيًا منها، وإدخاله في جامعة الدول العربية، وصـولًا إلى الهرولة للحصـول على النفط والغاز من السّـعودية وبقية دول الخليج؛ وهذا ما يجعل أمن السـعودية مطلبًا مهماً لتوفير وزيادة إنتاج النفط، بهدف خفض أسـعاره عالميًا ، مما يتطلب وضـع الحلول السـريعة لحلحلة الملف اليمني وإنهاء الحرب السـعودية على اليمن.

فما هي الأهداف التي حقّقها «بايدن» من خلال زيارته إلى السـعودية وتنسـيق قمّة جدّة ؟ وهل تعدّ هذه الزيارة إنجازًا إغاثيًا له في حال تحقّق أيّ من أهدافها؟ وما هي الفرص التي أتيحت ل «محمد بن سلمان» جرّاء هذه الزيارة؟

من خلال مقاربة موضـوعيّة، نجد أنّ زيارة الرئيس الأميركي إلى المنطقة لا يمكن أن تحصـل بدون تخطيط مسبق لها من قِبل المستشارين ورؤساء الوزراء، مما يجعل الزيارة تحصيل حاصل لمجمل الخطوات التي سـبقتها، من مباحثات بين الطرفين لإعداد برنامج العمل المتّفق عليه سـابقاً. من هنا نجد أنّه كان بين الطرفين المعنيّين نوع من التنسيق المبطّن ؛ فزيارة بايدن إلى السّعودية هي بمثابة إعطاء صـك الشـرعية إلى «محمد بن سـلمان» في حكمه وتنصـيبه ملكًا على البلاد، بعد زيارة كلٍ من «ماكرون» ، و«أردوغان » و«جونسون» له سـابقًا ، ليثبّت شـرعيّة حكمه من قِبل رؤسـاء الدول الفاعلة، خاصّـة مع إهدائه جزيرتي « تيران» و«صـنافير» المصـريّتين من قِبل «بايدن» والكيان الصـهيوني ، من خلال «إعلان القدس»، كون «محمد بن سـلمان» كان قد نفّذ الأجندة الأمريكيّة ، والتي كان آخرها فتح المجال الجويّ أمام الكيان الصـهيوني، ولعلّها الأحرف الأولى في «اتفاقية سـلام» تجمع بين الرّياض وتل أبيب، ويحلم «بايدن» بحضـور مراسـمها يومًا ما ، في حين نجد أنّ الرئيس الأمريكي ركّز على ما يُفترض أنّه جاء من أجله، ويحاول أن يأخذ الضـوء الأخضـر من

السعودية حوله؛ وهو ما تمّ طرحه في «إعلان القدس»: خفض سعر برميل النفط عالميًا، من خلال رفع إنتاج النفط السعودي. ولكن جاء الردّ السعوديّ مباشرًا من قِبل وليّ العهد «محمد بن سلمان»، ولا نعلم إن كان الهدف ترويج بروبغندا إعلامية، بأنّ "المملكة أعلنت عن زيادة مستوى طاقتها الإنتاجية إلى 13 مليون برميل يومياً، وبعد ذلك لن يكون لدى المملكة أي قدرة إضافية لزيادة الإنتاج" [8]. وبحسب البيان: " اليوم إنتاج السعودية هو بحدود 10 إلى 11 مليون"[9]؛ أي بزيادة 2 مليون كحد أقصى، وهذا يسهم في انخفاض سعر النفط من 120 إلى 80 دولارًا تقريبًا للبرميل الواحد. ولكن هل «بايدن» حصل على ذلك فعليًا؟

لقد أكد «محمد بن سلمان» أنّ السعوديّة تصل إلى أقصى مستوى لها لإنتاج الطاقة، وهو 13 مليونًا، ما يعني أن «بايدن» أخفق في تحقيق أي إنجاز فيما يتعلّق بموضوع الطاقة؛ وما كان لافتًا هو دخول الرئيس الروسي «فلاديميربوتن» على الخط والتواصل مع "محمد بن سلمان" والاتفاق معه حول التعاون التجاريّ بين البلدين، وتوثيق العلاقات بين روسيا والسعودية، مع التمسك باتفاق «أوبك+» القائم على تنسيق وتثبيت عمليات إنتاج النفط وأسعاره، مع وضع الملف السّوري على طاولة المباحثات، ما يطرح تساؤلات عدّة حول الدور السعودي في سوريا؟ هل هو دور اقتصاديّ حيث تسهم السعودية في عمليّة إعادة الإعمار؟ أم هو دور سياسي من أجل وقف الحرب وتشكيل تحالف إقليمي جديد؟ هذا بالإضافة إلى التحرّكات الدبلوماسيّة لكلٍ من دولة الكويت ودولة الإمارات على الخط الإيراني، من خلال قرار رفع تمثيلهما الدبلوماسيّ في إيران إلى مستوى السفراء.

وبحسب تصريح «أنور غرقاش»، المستشار الدبلوماسيّ للرّئيس الإماراتي الراحل، «الشيخ خليفة بن زايد»[10]، وطلب المملكة العربية السعودية، فقد يتم رفع مستوى الحوار بين إيران والسعودية إلى المستوى السياسي، وربما إلى مستوى وزراء الخارجية ؛ وسيكون ذلك بشكل علنيّ وواضح؛ هذا ما قاله وزير الخارجية الإيراني «حسين أمير عبد اللهيان»[11]؛ وربما يكون طبيعياً انعكاس هذا التقارب السعوديّ – الإيرانيّ على الملف اليمني، والتوصّل إلى مرحلة الإقرار بالأمر الواقع، إذ إنه لا أمان

---

[8]- بيان قمة جدة: ندعم سيادة لبنان وأمنه واستقراره وبسط سيطرة الحكومة على جميع الأراضي اللبنانية وندعو الجهات لاحترام الدستور والمواعيد الدستورية، 16\7\2022

- https://www.elnashra.com/news/show/

[9] - المصدر نفسه

[10] إيران: السعودية مستعدة لنقل الحوار إلى المستوى السياسي العلني.. ودولتان خليجيتان سترسلان سفيريهما إلى طهران، 22\7\2022

- https://www.france24.com/ar/

[11] - وزير الخارجية الإيراني أمير عبد اللهيان: استعراض الصهاينة وواشنطن يزيدنا إصراراً على تحقيق أهدافنا، وكالات+ الميادين،15\7\2022
https://www.almayadeen.net/news/politics

ولا استقرار ولا حصول على النفط والغاز في المنطقة إلّا بعد حلحلة الملفات الشائكة، لأنّ استقرار السعودية، والحصول على نفطها، يتطلبان استقرار اليمن وإنهاء الحرب فيها، والنظر في كل متطلبات وحقوق الشعب اليمنيّ وتلبيتها، ممّا ينعكس إيجاباً على كلّ الواقع اليمني.

الخاتمة

في ضوء ما سبق، هل يمكن توصيف جولة «بايدن» في المنطقة بأنّها الجائزة الكبرى وفق المنظور «الإسرائيليّ»؟ هذا الكيان المُصاب بذهول الخيبة، وخاصة بسبب فشل ما رشح من تطبيع محتمل بين السعوديّ و«الإسرائيلي»؛ لا بل إنّ وزير الخارجية السعوديّ نفى وجود أيّ نوع من التعاون العربي التقني مع الكيان الصهيوني؛ كما نفى وجود ما سمّي الناتو العربي، والذي روّج بأنّه سيُعلن عنه في أثناء قمّة جدّة.

وتزامنًا، حمل كلام وليّ العهد السعودي ووزير خارجيته رسائل وديّة وإيجابية تجاه إيران، تحت عنوان التعاون لتحقيق الاستقرار في المنطقة؛ وهذا الأمر له دلالات سياسية قد تفوق نتائجها، القريبة خصوصاً، ما كُشف عنه حتى الآن، لتتعرّى حقيقة هذه الجولة التي هدفت إلى «تبييض سجل بايدن» قبل خسارته المتوقعة في الانتخابات النصفية للكونجرس، وذلك من خلال كسر عزلته مع وليّ العهد السعوديّ، كإنجاز يحاول تسويقه قبل انتهاء صلاحيته؛ ولكن هل هذه الزيارة بالنسبة ل«جو بايدن» ، حتى في ما يتعلّق بهدنة اليمن.. كافية؟ فقد تمّ تثبيت الهدنة الحالية، مع إمكانية تمديدها وتقديم المساعدات الإنسانية للشعب اليمني، وليس أكثر.

لكن ماذا عن التحالفات الدولية الجديدة، وخاصّة تحالف منظّمة «بريكس»؛ والأهم من ذلك منظمة «شنغهاي» الصّاعدة، والتي تضم دولاً تعاني بشدّة من الضغوط ومن الحصار الأمريكيّ والغربي ، وقد ضاقت ذرعًا بهذا الحصار، وهي تمتلك إمكانيات كبيرة : جغرافية، وسياسية، واقتصادية، وعسكرية، وحيوية، من شأنها أن تعطيها القدرة اللازمة على مواجهة الغرب في كافة المنازلات المقبلة، وتضع حدًا نهائياً لهيمنته المطلقة؛ هذا عدا عن أنّ مشروع المنظّمة الأهم ، وهو «طريق الحرير»، والذي يجب أن تؤدّي فيه سوريا وإيران دوراً محورياً، سوف يدعم مركزيتها الإقليمية العالمية حتماً.